

ولا يستغنى التشريح النفسى عن الملامح الظاهرية . وكان البكرى رأى تميز الانسان عما حوله من مظاهر الطبيعة بأحاسيسه وبمشاعره الباطنية وتفكيره فاهتم بها ، فى حين كان اهتمامه مركزا على الوصف الخارجى للوحاته التى نقلها عن الطبيعة فلم يحاول أن يغير جزءا من ملامحها ، بل نقلها لنا كما هى فى الواقع ، ولم يحاول أن يضيف عليها شيئا من أحاسيسه . ونحن حين نقرأ رسم الشخصيات لمعاصره قاسم أمين ، نجد الجانب الآخر هو الغالب ، حين يرسم لنا شخصية الجبان المتظاهر بالشجاعة ، أو شخصية النهم الأكل(١) ، فيدقق فى الحركات ، حتى يخرج بصورة تستثير الضحك ، أما البكرى فيعمد الى الجانب الثانى كما قلنا ، وفى حديثه عن صلاح الدين الأيوبى نرى ذلك واضحا حين يقول : « ظهر فى الأمة سميذع نقاب ، كأنه قسور غاب ، قلب حول ، لو عادته نجوم الأفق لعاد ذو الرمح منها وهو أعزل . يعبس وهو راض كالسحاب ، يضحك وهو غاضب كالقراضاب ، عاجل العفو آجل الانتقام ، كان الملوك صف وهو الامام ، طبيب بادواء الامم حذاق ، يعالج تارة بالسهم وطورا بالترىاق . واحد لم يختلف فى فضله اثنان ، نطقت بمآثره السن الخرسان والخرصان ، فقرت بظهوره القلوب ، واذا هو صلاح الدين يوسف ابن أيوب » (٢) .

ولن تتم لنا الفكرة عن كتابه « صهاريج اللؤلؤ » الا اذا عرضنا لمقالته الاجتماعية . ونحن نعلم ان محاولة الإصلاح الاجتماعى قد بدأت بصورة قوية أيام جمال الدين ، حين حاول مخض المجتمع المصرى ، وركز جهده - من هذه الناحية - فى الإصلاح الدينى باعتباره أساس الإصلاح الاجتماعى ، وتلقف الراية من بعده تلاميذه ،

(١) راجع فصل الكاتب المبدع (قاسم أمين) .

(٢) صهاريج اللؤلؤ ص ٢٧٢ .